الباب الثاني
تفسير القرآن في عهد الصحابة

الفصل الأول
ماذا عن تفسير الصحابة؟

ذهب بعض العلماء ـ وعلىٰ رأسهم ابن تيمية ـ إلىٰ القول بأن النبي ﷺ فسّر القرآن كله ، ودليلهم علىٰ ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

وذهب بعض العلماء إلىٰ القول بأن النبي ﷺ لم يفسّر جميع القرآن ، بل فسّر آيات منه ، وإلّا فأين هو التفسير النبوي الكامل للقرآن؟!

لكن الحقيقة هي ما ذهب إليه الفريق الوسط ، ومنهم الشيخ محمد متولي شعراوي ، وذلك حين ميز بين آيات الأحكام والآيات الكونية ، فقال:

(لم يفسّر لنا رسول الله ﷺ القرآن ، لأنه لو فسّره بالأشياء التي ستوجد في القرن العشرين أو الثلاثين أو الأربعين لتعجّب معاصروه أيّما تعجّب ، ولاستعظموه أيّما استعظام ، لأنه للآن ما زال أناسٌ ينكرون أن الأرض كرة تدور ، ولو أنه ﷺ فسّره علىٰ قدر عقل معاصريه ومعلوماتهم الكونية لحجّر علينا ولجمد القرآن ، لأنه من يتصدّر لتفسير القرآن بعد ذلك سيواجه بأن الرسول فسّره هكذا ، وعليك ألا تزيد عن ذلك ، ولذلك فرسول الله ﷺ ترك تفسير القرآن حتىٰ تأخذ كل مرحلة

---

(١) المائدة: ٦٧.

فكرية من لمحات القرآن بقدر ما تستطيع ، وذلك في أمور الكونيات ، أما المطلوب من الأحكام فقد بيّنها صلوات الله عليه وأوضحها للناس)[1].

وهكذا تلقّف الصحابة الكرام القرآن وتفسيره من النبي ﷺ ، لكن ليس التفسير التفصيلي ، إنما المجمل والذي يهتم بالظواهر والأحكام ، دون البحث عن معرفة دقائق القرآن الباطنة.

ونظراً لتفاوت الصحابة في العلم باللغة العربية ، ونظراً لبُعد البعض عن النبي صلوات الله عليه وانهماكهم بالزراعة والتجارة ونحو ذلك ، بينما فرّغ بعضهم نفسه فلازم النبي في حلّه وترحاله ، ونظراً لتفاوت الصحابة في الدرجة العلمية والمواهب العقلية ، لذلك كله نجد أنهم تفاوتوا في فهم القرآن الكريم.

ولذلك كان بعض الصحابة يستشكل آيات من القرآن ، فلا يفهم المراد منها.

وكان بعضهم يخفى عليه مفردات اللغة فلا يفهم المقاصد القرآنية.

دليل ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: قرأ عمر رضي الله عنه علىٰ المنبر قوله تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[2] ، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأبّ؟ ثم رجع إلىٰ نفسه فقال: إن هذا لهو التكلّف يا عمر!![3].

ومن ذلك ما أخرجه أبو عبيدة من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت لا أدري ما معنى (فاطر السموات) حتى

---

(١) القرآن والتفسير: ١١١ ـ ١١٢.
(٢) عبس: ٣١.
(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٢/ ١١٣.

أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر ، فقال أحدهما: أنا فطرتها ، والآخر يقول: أنا ابتدأتها[1].

ومن ذلك ما أخرجه البخاري من أن عدي بن حاتم لم يفهم معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾[2].

وبلغ من أمره أن أخذ عقالاً أبيض وعقالاً أسود ، فلما كان بعض الليل ، نظر إليهما فلم يستبينا ، فلما أصبح أخبر الرسول ﷺ بشأنه ، فعرّض بقلّة فهمه ، وأفهمه المراد[3].

* * *

(١) الإتقان: ٢/ ١١٤ ، الموافقات للشاطبي: ٢/ ٨٧.
(٢) البقرة: ١٨٧.
(٣) فتح الباري: ٨/ ١٢٧.